مظاهر العصبية القبلية في معسكر الإمام علي (ع) وأثرها على قراره العسكري

أ. د. حيدر لفته سعيد
قسم التأريخ / كلية الآداب / جامعة الكوفة

ملخص

إن مدار البحث ومحتواه يطرح محاولة لإلقاء الضوء على العصبية القبلية في الجانب العسكري وليس المدني وقبل اعطاء تفصيلاً عن الموضوع أجد من الضرورة تعريف القارئ – ولو بشيء من العجالة – بمفهوم العصبية القبلية وذكر سلبياتها في ضوء نصوص سماوية وأرضية تؤطرها العصمة لصدورها عن معصومين، وأخرى لآراء مهتمين ممن أدلوا بدلوهم بهذا الشأن.

كلمات مفتاحية : العصبية القبلية ، الإمام علي (ع) ، العسكري

Manifestations Of Tribal Nervousness In The Camp Of Imam Ali (PBUH) And Their Impact On His Military Decision

Dr. Haider Lafta Sa'ed
History Department / College of Arts / University of Kufa

summary

The scope and content of the research presents an attempt to shed light on tribal fanaticism on the military side, not the civilian one. Before giving details on the subject, I find it necessary to introduce the reader - albeit with some haste - to the concept of tribal fanaticism and to mention its drawbacks in the light of heavenly and earthly texts that frame infallibility because it is issued by infallible people, and other opinions. Interested in those who gave their opinion in this regard.

Keywords: tribal nervousness, Imam Ali (PBUH), the military

المقدمة:

لاشك أن الإمام علي (ع) عند توليه الخلافة بعد عثمان بن عفان سنة ٣٥ هـ كان يعلم جيداً أنه سيرث تركة ثقيلة من الأخطاء المبررة على أنها اجتهادات من الخلفاء الذين سبقوه، والملفت أن هذه الأخطاء كانت نابعة من قناعات عصبية مترسخة، لذا نقرأ أن الإمام علي (A) حاول جاهداً أن يسير بمشروعه الإسلامي الصريح في الكوفة – حاضرة خلافته – وسط تيار قبلي شديد طغى حتى على تخطيط المدينة، إلا أنه اصطدم بردود أفعال سلبية على أدائه السياسي والإداري أيضا انطلاقاً من متبنيات قبلية، لكن هذه العصبيات تجلت بشكلها الواضح في الحروب الثلاثة التي خاضها الإمام علي (A) إبان خلافته ضد الناكثين (طلحة والزبير) والقاسطين (معاوية وجيشه) والمارقين (الخوارج)، واللافت أن آثارها لم تكن بسيطة مرحلية بل امتد حتى آل الأمر لآل أبي سفيان فاعتمدوه احد مسوغات الحكم.

إن صفين جرعت الإمام (A) غصصاً من مرارات العصبية لعدة مرات منذ الاعداد لخوضها وحتى انتهاءها بالتحكيم، اذ كانت العصبيات القبلية حاضرة في كل يوم من ايامها التي نافت على المئة، وكانت حبلى بالمفاجآت، ولعل أكثرها غرابة أن الإمام (A) مع بدايتها كان خليفة منتخب واضطر إلى وقفها والاذعان لتحكيمها مكرها واذ به خليفة مخلوع.

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى تمهيد وثلاث نقاط وخاتمة، الأولى بحثت مقدمات الحرب والثانية عالجت مجرياتها، فيما اهتمت الثالثة بما آلت إليه من نتائج، واختتمت الدراسة بما توصلت إليه من ملاحظات.

التمهيد:

لقد عرف اللغويون العصبية بأن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناؤهم ظالمين كانوا ام مظلومين[1] والعصبية القبلية بلا شك اندفاع لا عقلاني إلى الطرف الذي ينتمي إليه

واستبعاد المنطق والشريعة عند التضامن مع قومه او من يشاركه الدم ضد جماعة اخرى مناوئه[2] فتتحول أفعاله تأسيساً على هذا الاندفاع من مواقف سلبية او ايجابية إلى ردود أفعال سلبية[3].

فيما ذهب باحث إلى تعريف يكاد يكون جامعاً لما سبق بقوله "التعصب هو التمسك براي او موقف والتشبث به بدون علم على صوابية هذا الموقف او خطئه، فالمتبني غالباً ما يكون مشحوناً انفعالياً ببعض المعتقدات والأفكار والاتجاهات الخاصة وهي غالباً ما تكون مكتسبة أما من التنشئة الاجتماعية او الثقافة التي تحصل عليها او من البيئة التي نمى ونشأ فيها، وعلى ذلك فالتعصب يثير مشاعر ودوافع مكبوته لا توجد إلا في النفوس المليئة بالانفعالات والاحباط والتي تبحث عمن تلقي عليه كل اخطائها وعيوبها لتجد متنفساً لمشاعرها المكبوتة الضيقة"[4].

لقد أنكر القرآن العصبية القبلية بقوله تعالى "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية[5] والحمية نمط من العصبية القبلية، وجاء عن النبي (7) ما يؤكد عما ورد في القرآن بقوله (7) "من تعصب او تعصب له فقد خلع ربق الايمان من عنقه"[6] وورد عن الإمام الصادق (A) عند جده النبي (من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية)[7].

يذكر أن النبي (7) كان قد نهى عن التعامل مع العصبية بكافة اشكالها والقتال عليها والموت في سبيلها اذ قال (7) "ليس منا من مات على عصبية[8]" ولدى سؤاله (7) عن معنى العصبية قال: "أن تعين قومك على الظلم"[9].

والتعصب صفة ابليسية لا تعتمد على الحجج والبراهين العقلية فهذا الإمام علي (A) يصف ابليس بالعصبية بقوله: عترته "الحمية، وغلبت عليه الشقوة، وتعزز بخلقة النار، واستوهن خلق الصلصال – الطين –"[10] ووصفه (A) في موضع آخر بأنه مؤسس العصبية بقوله: "فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعدوا الله إمام المتعصبين، وسلف المتكبرين، الذي وضع أساس العصبية[11] وعندما قارن (A) بين الأخوة والعصبية اوضح أن الأولى تنتصر للحق أما الثانية فتنتج الباطل والظلم ، واضاف بهذا الشأن (A) قائلاً: "إن كنتم لا محالة متعصبين، فتعصبوا لنصرة الخلق وإغاثة الملهوف" [12] ورغم أن الإسلام حاول معالجتها – العصبية – بقوله تعالى: "لا إكراه في الدين"[13]. وقوله تعالى: "ادفع بالتي هي أحسن...."[14] وقوله جل وعلا: "خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين"[15] وقوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم..."[16] ورغم كل محاولات النبي (7) الكريم للحد من العصبية ومحاولاته للتقليل من رواسبها، لكنها بقت في النفوس متجذرة ووفق قراءة صبحي لنظرية ابن خلدون وجد أن مساوئ العصبية تفوق محاسنها فهي تغرس في نفوس الأفراد روح التمرد، وعدم الانقياد لأي تسلط لا يتفق مع ميول القبيلة، وهي تعمق رواسب الحقد والعداء، واحياناً تجعل من الفرد يتنكر لحريته الفردية، ويجعل من نفسه بيدقاً تحركه القبيلة وعلى رأسها زعيمها كيف تريد، ويبدو ان غلبة الروح الجماعية وسيطرة مبدأ التضامن القبلي هي التي تفرض هذا الواقع ولا يسع الفرد سوى الطاعة[17].

ولا غرو أن فيلهام دلثاي كان محقاً عندما قال: "إن الإنسان دون سائر الكائنات الحية حاضره مشحون بالماضي"[18] فهو وإن دخل الإسلام، فإن ماضيه وتنشئته وبيئته، كل هذه المعطيات، تشكل حوافز في تكوين انفعالاته واتجاه هذه الانفعالات نحو الايجاب او السلب ولعل ابن خلدون عنى هذا الأمر عندما قال "بالعصبية تتم الرياسة"[19] لكنه عاد ليؤكد "ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الاراء والأهواء "[20].

وهو ما عانى منه الإمام علي (A) مراراً عندما اتجه لجعل العراق وتحديداً الكوفة حاضرة لدولته بدلاً من المدينة وخاصة أثر المواجهات العسكرية التي ابتلى بها ولعل حرب صفين سنة 37 هـ شهدت عديد من هذه المواقف التي بدا فيها العامل القبلي واضحاً خلال الاستعداد للحرب وسأعبر عنها بالمقدمات وعند المواجهات العسكرية وسأعنونه بالمجريات، وعند انتهاءها بالركون إلى التحكيم وسأسمي هذه النقطة بالنتائج.

اولاً: المقدمات :

قبل الدخول في مقدمات الحرب حري بنا أن نبين ان اختيار الإمام علي (A) خليفة لعثمان - بعد ثورة القبائل في الامصار عليه - جاء في ظروف شهدت استعلاء الاتجاه القبلي على الاتجاه الاسلامي، ولما كان الإمام يسير وفق الاتجاه الإسلامي متمتعاً بتأييد الانصار له في المدينة وتأييد القبائل التي اختارته اتكاءاً على أن الخليفة يجب ان يكون من قريش – وكان للإمام في تلك المدة القدح المعلى لسابقته ومنزلته ومصاهرته للنبي (7) فضلاً عن قرشيته[21] - كان أول خطواته لتعزيز المبدأ الإسلامي لا القبلي، عزل ولاة عثمان الذين تم اختيارهم في الأغلب على العامل القبلي وصلة القرابة واستبدالهم حسب الكفاءة والمهنية[22]، وفي ذلك ضرب لأحد أوجه العامل القبلي، ثم جاء سحب الأموال المكدسة لدى اولئك الولاة ممن اثروا بدون وجه حق[23] تلا ذلك خطوة التسوية في توزيع العطاء التي ارساها (A)[24] – كما كان يفعل النبي محمد (7) وبعده ابي بكر – ليقضي على صفة الطبقية التي افرزتها سياسة الخليفة عمر بن الخطاب في توزيع العطاء، وكانت العصبية القبلية أساسها[25].

إن إجراءات الإمام علي (A) اعلاه مثلت خطوات مفصلية نحو تصحيح الوضع القائم وهي تبين بلا شك عدم انصرافه إلى التيار القبلي وتمسكه بالحكم على اساس اسلامي وكان بقاءه في المدينة - معقل الاتجاه الإسلامي - يشكل ضرورة للإستمرار على هذا الخط إلا أن قوة المدينة المتضعضعة بفعل تصاعد وتيرة التيار القبلي الذي أطاح بحكم الخليفة عثمان وأنهى حياته، وبقاء رجال القبائل في المدينة حتى بعد البيعة للإمام علي (A) تلا ذلك قيام طلحة والزبير بالثورة على الإمام وقد انطلقا من نوازع شخصية يحدوها الأمل بالسلطة[26]، متذرعان في العلن بالمطالبة بالثأر للخليفة المقتول عثمان، واعتمدا في التحشيد لحرب الإمام (A) على أم المؤمنين عائشة التي اقنعوها بالخروج معهم للمطالبة بالثأر مستغلين مواقفها الذاهبة بهذا الإتجاه[27]، فكانت هذه المواقف تمثل ارهاصات لموقعة الجمل سنة 36هـ في البصرة، وكان الظفر فيها لعلي (A)[28] ولعل هذا الحدث شكل سبباً مباشراً للتوجه إلى الكوفة واتخاذها عاصمة إذ علل الإمام هذا الاختيار لأن فيها المال والرجال[29]، الرجال المدفوعين بنوازع اقليمية واتجاهات قبلية، وهم رغم كل ذلك شكلوا مادة جيشه في الجمل، وعلى أساس وجودهم تخلى الإمام عن مركز التيار الإسلامي - المدينة المنورة - لا عن مبدأه الإسلامي[30]. في الكوفة التي اصبحت حاضرة علي (A) ومركز حكمه، كانت التقاليد القبلية تفعل فعلها، فالكوفة قبلية في تخطيطها، وتوزيع اسباعها ، وقبائلها كانت محافظة على تقاليدها البدوية ولم تجنح للإختلاط بالشعوب الأخرى ولم يعتريها التأثر بالمتغيرات الحضرية، ولم تكن فكرة الدولة واضحة لديها، ورغم اجواء الكوفة المفعمة بالقبلية، إلا أن الإمام علي (A) ظل يعمل وفق اتجاهه الإسلامي الذي سلكه في المدينة، وهو من دون شك لا يناسب الكوفيين الذين كانوا يفكرون وفق عقلية قبلية تقتضي مصالحهم الشخصية ثم الاقليمية يحدوهم الاستئثار، لذا نجد علياً يصطدم باتجاههم هذا عند كل ازمة [31] فمع التصعيد من جانب معاوية الذي اعتبر نفسه ولي دم الخليفة المقتول - وما تمخض عنه من المسير إلى صفين [32] لحرب الإمام علي (A) نلحظ تصاعداً للعصبية القبلية في المعسكر العراقي - المزمع اعداده للتوجه لصفين لمواجهة المعسكر الشامي بقيادة معاوية بن ابي سفيان – تجلت في عدة مواقف طغى عليها عدم الثبات وعدم إطاعة القائد الأعلى في احايين عديدة، فمثلاً عند دعوة روؤساء القبائل من الإمام علي (A) لحرب معاوية، ابدى الأشعث بن قيس الكندي عدم ارتياحه من التوجه هو وأبناء قبيلته لهذه الحرب قائلاً "والله إني كنت لها كارهاً قتال أهل الصلاة ولكن معي من هو أقدم مني في الإسلام وأعلم بكتاب الله والسنة [33].

وبلا شك أن تصريحه هذا تشكيك في صواب قرار مولاه الإمام علي (A) بحرب القاسطين (معاوية وجيشه) وعدم وجود رغبة حقيقية لديه للخروج والقتال في ركاب الإمام (A) ومن المؤكد أن هذا التصريح هو المعلن أما الكوامن ففيها حقد على علي (A) بسبب عزله عن حكم ولاية اذربيجان بكتاب شديد اللهجة تضمن توجيه تهمة الخيانة له، واصدار الأمر إليه بالقدوم إلى الكوفة ومعه مال اذربيجان[34].

ومن الأصوات الكارهة للحرب والخروج لها رجل من فزارة اسمه (إربد) توجه إلى الإمام علي (A) بالكلام قائلاً: أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فتقتلهم كما سرت بنا إلى إخواننا من اهل البصرة فقاتلناهم ، كلا والله، إذا لا نفعل[35].

وانقسمت قبيلة طيء بين مؤيد للخروج للحرب ومعارض فعدي بن حاتم (شيخ طيء) حث قومه على الخروج لحرب معاوية، أما زيد بن الحصين الطائي فصرح قائلاً: "لا يصلح لنا النية في قتالهم حتى نستديمهم ونستأنيهم ..."[36].

وقام رجل من تميم فيمن مشى إليه من الرجال ينصح علياً بعدم قتال اهل الشام لأنه لا يعلم إلى أي فريق ستكون الغلبة عند اللقاء [37]، في إشارة واضحة إلى كراهة قتال نظرائه من ذات العشيرة في الشام ناهيك عما يشتمل عليه النص من خور المعنويات، وعدم صدق النيات، وربما تخاذل، وخوفٌ من المواجهة.

هذه كانت نماذج لمعنويات ممن كان في معسكر علي (A) عند التجمع لحرب معاوية بعكس الأخير – الذي اختار السير في مجتمع قبلي متبنياً الفكر القبلي – فكان موقف اتباعه الشاميين اكثر صلابة في الالتفاف حوله لحرب الإمام علي وأخذ الثأر لعثمان منه بعد اتهام معاوية لعلي (A) بقتل عثمان، وتارة التستر على قاتليه [38]، وقد اتخذ معاوية من رسالة بن الفرافصة الكلبية - زوجة عثمان – وطلبها منه أخذ الثأر لزوجها، ذريعة لقتال الإمام (A) وشحذ همم الشاميين، وكان لخطابه فيهم بهذا الشأن عارضاً لقميص عثمان الملطخ بالدم وقراءة ما ورد من رسالة نائلة الأثر الكبير في تحريك مشاعرهم وعن ذلك قال المنقري "فقام اهل الشام باجمعهم فأجابوه إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يبذلوا انفسهم وأموالهم ويدركوا بثأره او يفني الله ارواحهم"[39].

ثانياً: مجريات الحرب

بعد التحشيد للحرب ظهرت بوادر العصبية القبلية في جيش الإمام علي (A) بشأن التنافس على الرئاسة والزعامة ، فنقرأ عن شقيق بن مجزأة بن ثور أنه تنازع مع خالد بن المعمر على رئاسة سدوس، الأمر الذي اضطر علياً (A) لأن يسندها إلى الحصين بن المنذر فرضي كل واحد منهما بذلك - لا طاعة لقائدهما علي (A) - بل خشية أن يجعلها في احدهما فيكون خصمه فسكنت ثائرة بني وائل[40].

وبرز تنافس عائذ بن قيس الطائي مع عدي بن حاتم الطائي على زعامة طيء فقال الإمام علي (A) : "عدي أحقكم بالراية، فضج بنو الحرمز – رهط من عائذ – فقال علي: إني أراه رأسكم قبل اليوم، ولا أرى قومه كلهم إلا مسلمين له غيركم فإتبع في ذلك الكثرة"[41]، ويظهر من كلام الإمام أنه كان يتوخى الدقة في اختياره للقادة ناهيك عن الحذر من تذمر القبائل. إلا أن اشد الانقسامات حول الزعامة في جيش الإمام (A) بعد قراره إبعاد الأشعث بن قيس عن زعامة كنده وربيعة في القتال، وجعل الراية لحسان بن مخدوج الذهلي من ربيعة[42]، ربما لشكه في صدق ولائه ونيته فاعترض رؤساء اليمن ومنهم الأشتر النخعي، وعدي بن حاتم، وهانئ بن عروة وغيرهم، وكانوا يرون أن ربيعة لا يمكن أن تتزعم كندة ومنها الملوك وسادة القبائل في الجاهلية، فجاءوا لعلي (A) وقالوا له: يا امير المؤمنين إن رياسة الأشعث لا تصلح إلا لمثله وما حسان بن مخدوج مثل الأشعث، فغضبت ربيعة - عشيرة حسان – وفيهم حريث بن جابر فقام وقال : يا هؤلاء رجل برجل وليس بصاحبنا – يعني حسان – عجز في شرفه ونجدته وبأسه، ولسنا ندفع فضل صاحبكم وشرفه [43]. ولدى ذهاب اليمانية إلى سعد بن قيس الهمداني ليتوسط عند الإمام (A) لإعادة النظر في تكليف الأشعث، خاطبهم قائلاً: "ما رأيت قوماً أبعد رأيا منكم، ارأيتم ان عصيتم علي هل لكم إلى عدوه من وسيلة، وهل لكم في معاوية عوض منه ... القول ما قال والرأي ما صنع [44]. وعاد الكلام الحريث فقال مخاطباً اهل اليمن: "يا هؤلاء لا تجزعوا فإن كان الأشعث ملكاً في الجاهلية وسيداً في الإسلام، فإن صاحبنا أهلُ لهذه الرئاسة، وما هو انصل منها"[45]. لاشك إن في هذه الآراء نلمس اعتراضاً واضحاً على قرار الإمام علي وكان عليهم الطاعة، كما أن النص يظهر حالة من عدم التواصل والتباعد بينهم وبين الإمام (A) بحيث أنهم يلجأون إلى وسيط لايصال رأيهم، وهذا السجال حول قيادة كندة وربيعة أوعى رجال هذه العشيرة وزعمائهم أما لم يعوا إنهم به رسخوا فكرة المعارضة بين مكونات الجيش دون العودة لعلي لأن النص يظهر أن ابن مخدوج يقوم بناءاً على رفض اليمانية لأن

يكون صاحب رايتهم – بأخذ الراية وتقديمها للأشعث ويقول له: "لك راية كندة ولي راية ربيعة [46]. لوأد الفتنة، فيرفض الأشعث - في سعي خفي لتأجيجها – ويخاطب ابن مخدوج بقوله "معاذ الله لا يكون هذا ابداً ما كان لي فهو لي وما كان لي فهو لك"[47].

ويبدو أن هذه السجالات حول زعامة كندة قد اهدت الفرصة لمعاوية ليكلف الشاعر كعب بن جميل بنظم ابيات يؤجج فيها حماسة الأشعث ومن وراءه اليمانية جاء فيها:

من يصبح اليوم مثلوجاً بأسرته فالله يعلم إني غير مثلوج

زالت عن الأشعث الكندي رياسته واستجمع الأمر لحسان بن مخدوج

يا للرجال لعار ليس يغسله ماء الفرات وكرب غير مفروج[48]

وإزاء استياء اليمانية، قام حسان برد الراية ثانية وركزها أمام الأشعث، فلم يرض الاشعث ثانية أن يأخذ قائلاً: "هذه الراية عظمت على علي، وهو والله أخفُ عليَّ من زف – ريش صغير - النعام، ومعاذ الله أن يغرني ذلك لكم" واضاف "أن يكون اولها شرف فإنه ليس آخرها بعار [49]. ولم يرض الأشعث إلا بعد أن عينه علي (A) على ميمنته[50] وهكذا بدأت في جيش العراق ارهاصات الانقسامات القبلية بعكس جيش الشام الذي كان منظماً ومطيعاً لأوامر معاوية.

وظهر التذمر أيضاً في معسكر العراق بعدما اقتضى التخطيط الحربي ان تقاتل كل قبيلة نظيراتها من الشام، وهي حالة تدعوا للدهشة، ذلك أن مضر لا تقاتل إلا كفئها من مضر وهكذا بقية القبائل وقد علق خريسات أن اللجوء لهذا التدبير هو للحيلولة دون تأثر المقاتلين بنوازع العصبية والرحم، فالقبلية تكره ان ترى اخوتها يقتلون بأيد غريبة، فكانت تؤثر أن تتولى قتالهم [51].

ووفقاً لهذا التخطيط أظهر بعض القادة تبرمهم من ذلك ومنهم مخنف بن سلم الأزدي – قائد أزد العراق في الحرب – إذ قال: "إن من الخطأ الجليل والبلاء العظيم، أنا صرفنا إلى قومنا - يعني أزد الشام - وصرفوا إلينا، والله ما هي إلا ايدينا نقطعها بايدينا، وما هي لا أجنحتنا نحدها بأسيافنا [52] ولما سمع ذلك جندب بن زهير وكان على الرجالة بصفين – رغم ولائه لعلي - إلا أنه صرح قائلاً "والله لو كنا آباءهم ولدناهم او كنا ابناءهم ولدونا [53] – وعند وصول جيش معاوية إلى صفين واستيلائه على شريعة الماء وجعل أشد المقاتلين لحراستها بقيادة ابي الأعور السلمي لمنع جيش علي (A) من بلوغ الماء ليموتوا عطشا ، نقرأ أن قتالاً ضارياً جرى بين الطرفين حتى انتهى باقتسام الماء [54] وفي حيلة خبيثة من معاوية وذلك بأن رمى بسهم إلى معسكر علي المرابط على الضفة الأخرى من المشرعة يعلمهم أنه من مخلص وان معاوية سوف يفتح ثغرة من المشرعة لاغراقهم وان عليهم الابتعاد ، وعزز معاوية مخاوف العراقيين عندما أرسل الفعلة جماعة من في العلن أدوات الحفر ليؤكد صحة الخبر، فقرر جيش العراق التقهقر ومعهم عن المشرعة وعبثاً حاول الإمام إقناعهم أن الأمر محض مكيدة بقوله (A) "إنما يريد معاوية أن يزيلكم عن مكانكم فالهوا عن ذلك ودعوه، فقالوا له : بل نرتحل إنهم يحفرون الساعة، فقال علي: يا أهل العراق لا تكونوا ضعيفي، ويحكم لا تغلبوني على رأيي، فقالوا: والله لنرتحلن فإن شئت فارتحل وإن شئت فأقم"[55]، وهكذا كان عصيان قرارات علي العسكرية قد أخذ يظهر منذ البداية، فارتحلوا عن الماء وتركوه آخرهم فقال متحسراً:

ولو أني أطعتُ عصمتُ قومي إلى ركن اليمامة أو شبام

ولكني إذا أبرمت أمراً منيت بخلق آراء الطغام[56]

وسرعان ما اكتشف العراقيون خطأ قرارهم وعندما عادوا للإمام (A) لامهم على عصيانهم وترك لهم أمر معالجة ما ارتكبوا من خطأ فانبرى الاشعث والأشتر بقتال شديد ضد جيش معاوية تمكنوا بعده من إزاحتهم عن جانب من الشريعة وعسكروا فيها وعن هذه العملية العسكرية صرح الإمام قائلاً: "هذا نصرنا فيه بالحمية[57].

ومن هذا التصريح يتضح أن الإمام علل النصر ببواعث العصبية والحفاظ على ماء الوجه وليس القتال بمعنى الجهاد المحض دفاعاً عن الحق ووضع حد لتوجهات معاوية الرامية الإطاحة بمبادئ الإسلام ودولته.

كما كانت العصبية القبلية حاضرة في مواقف بعض القبائل لاسيما ممارسة التخذيل لمن التزم بطاعة أوامر مولاه (A) وكان ديدنه الحق والثبات عليه، فعندما برز عياض بن شريك لمبارزة أحد آل ذي الكلاع من جيش الشام، اوصى ان قتل أن يكون على غطفان الأسود بن حبيب فإن قتل تكون القيادة لهرم بن شتير، وعندما توجه عياض لمناجزة الشامي سار من خلفه ابن شتير وأخذ يثنيه عن عزمه عن القتال قائلاً: ليمسك رحم، أي استحلفه بالرحم بان لا يخرج للقتال، فرد عليه عياض قائلاً: هبلتك الهبول، وهل هو إلا الموت"[58].

ومن أوجه التخذيل ما قاله رجل من ربيعة معنفاً خالد بن المعمر السدوسي وكان يحفز جنده من ربيعة – في معسكر علي – على بذل الأرواح في القتال لنصرة الحق فقال له الرجل "برحك – أحزنك – الله من خطيب قوم جنبك الخير، ضاع والله أمر ربيعة حين جعلت أمرها إليك، تأمرنا إلا نحول ولا نزول حتى نقتل أنفسنا، ونسفك دماءنا [59]. وكان لهذا التخذيل صداه لدى معاوية الذي أخذ يؤكده لبث الفتنة في صفوف معسكر الإمام علي (A) لاضعافه، فحاول حث الإمام الحسن (A) تارة للوقوف ضد ابيه لقاء مبايعته خليفة للمسلمين، وتارة عرض الأمر على عبد الله بن عباس شريطة وقف الحرب[60].

ومن مظاهر العصبية القبلية الاستياء من عدم مقاتلة الاكفاء في بروز لحالة من (الاستعلائية) فعندما خرج عبد الرحمن بن يحيى الكندي لقتال احد فرسان الشام ولم يعرف عن نفسه وكان مقنعاً بالحديد ولم يظهر سوى عينيه، نقرا إنه عندما صرعه في الميدان وكشف اللثام عن وجهه ندم على خروجه إليه لأن وجده عبداً لعك، وكان يرى وجوب المناجزة بين الأكفاء[61]، وبرزت ايضاً النظرة الاستعلائية عندما خرج بن ابي الحصين الأزدي مع القراء بقيادة الصحابي عمار بن ياسر ، عندها ناداه مخنف الأزدي قائلاً: "نحن أحوج إليك من عمار فأبى قوله وقتل معه"[62].

وبرز القتال على الاحساب والأنساب والتفاخر ففي أحد أيام صفين خرج عبد الله بن خليفة الطائي يعرف عن نفسه وبقومه بقوله: "نحن طي السهل وطي الجبل، نحن حماة الجبلين بين العذيب إلى العين، طي الرماح ، طي البطاح ، طي النطاح ، وفرسان الصباح ...[ثم اخذ] اخوطيء – يعني عبد الله بن خليفة – يصيح: يا طيء، فدى لكم طارفي وتلادي، قاتلوا على الدين والأحساب"[63].

ولما شارفت تميم على الهزيمة ناداها مالك بن حري النهشلي "اقراراً واعتذاراً، ثم نادى بالاحساب وجعل يكررها [64]، فقالت له بنو تميم : أتنادي" بنداء الجاهلية، أن ذلك لا يحل، قال: "فالفرار ويحكم اقبح ، ان لم تقاتلوا على الدين واليقين فقاتلوا على الاحساب والأنساب"[65].

ومن مظاهر العصبية القتال خشية العار فعندما وجد خالد بن معمر الربعي في ربيعة تخاذلاً دعاهم ليعودوا خشية العار والفضيحة وكان جملة ما قاله لهم: "الله لا يرضى فعلكم ولا تعدموا معيراً يقول: فضحت ربيعة الذمار، وخافت عن القتال، وأتيت من قبلها العرب، فإياكم إن يتشاءم بكم المسلمون اليوم..."[66].

وكان نداء الاشتر النخعي عندما هزمت ميمنته في بدء القتال، وحينها دعاه الإمام (A) إلى رص صفوفه، فمضى واستقبل المنهزمين قائلاً: أخلصوا" إلى مذحجاً" وكان خطابه فيهم عند تجمعهم من حوله يشي بعبارات عصبية أكثر منها ايمانية قائلاً: "أنتم أبناء الحرب واصحاب الغارات ... وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعان ... ما تفعلوا اليوم - يعني الهزيمة - مأثور لما بعده، فاتقوا مأثور الحديث والله ما أحسنتم اليوم القراع، أجلوا اليوم سواد وجهي - يعني ما الحقتموه اليوم بي من عار الهزيمة أمام علي (A) عندها قالوا له" خذ بنا حيث أحببت"[67].

ومن العصبية ايضاً ان انفردت بعض زعامات القبائل في الميدان بتولية القيادة من بعدهم دون الرجوع لرأي الإمام علي (A) فهذا عياش بن شريك يوصي بان يخلفه اثنان من غطفان في حال استشهاده وتكرر الأمر بنفس الطريقة في قبيلة نهد[68].

كما افرزت المواجهات احتجاج القبائل المضرية في العراق على تقديم قبائل همدان وربيعة عليها، والأمر الذي زاد من غضبهم أن ربيعة كانت تفتخر بذلك أمام الإمام علي (A) وتتحدى القبائل

المضرية ان تفعل مثل فعلها، الأمر الذي دفع تميم واسد وهوازن وكنانة أن يطلبوا المثول بين يدي الإمام علي (A) فقالوا له: "إن هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بك منا، وإنك لهم دوننا، فاعفهم عن القتال اياماً، وأجعل لكل امريء منا يوماً نقاتل فيه، فإننا إذا اجتمعنا في الحرب أشبه عليك بلاؤنا في القتال [69] . الأمر الذي اضطر معه الإمام (A) أن يوافقهم في ذلك[70].

النتائج:

لا شك أن حقد القبائل على بعضها البعض بفعل تداخل العصبيات القبلية والإقليمية هو الذي رسم ملامح النهاية الحتمية لموقعة صفين التي اسفرت عن سقوط عدد كبير من القتلى[71] الأمر الذي شهد – بناءاً على ما تقدم – تعالي بعض الأصوات التي تحث ضمناً إلى وقف القتال، وغالباً ما كانت القبائل العربية في جيش معاوية هي التي تدعو إلى ذلك، من ذلك مقالة رجل من الأشعريين: "يا آل مذحج من للنساء غداً إذا افناكم الردى، الله الله في الحرمات، أما تذكرون نساءكم والبنات، أما تذكرون أهل فارس والروم والاتراك، لقد اذن الله فيكم بالهلاك [72]. وكانت ليلة الهرير (العاشر من ربيع الأول سنة ٣٧هـ) آخر ليلة في حرب صفين، وأشد الأيام فيها هولاً – حتى شبهت بمعركة القادسية – وفيها سقط من القتلى ما يقرب من سبعمائة إلى ألف من معسكر الإمام علي (A) وضعفه من معسكر معاوية[73]، وقد تنادى بعض الحفاظ بوقف القتال ايضاً بقولهم : "يا معشر العرب، الله الله في الحرمات من النساء والبنات"[74]، متناسين أن معاوية هو من اشعل نار هذه الحرب وغذاها وألهب اوارها، ويبدو أن هذه الصيحات قد جاءت متناغمة ما مع يريده الأشعث بن قيس الذي كان لانفعالاته النفسية وثاره لكرامته المهدورة بين قومه وهو زعيم ،كنده بفعل عزله من منصبه كوال على اذربيجان، وحجب راية عموم كندة عنه بأمر الإمام (A) واختياره ابن مخدوج بديلاً عنه، فوجد الفرصة مواتية لطعن الإمام علي (A) وهو يوشك أن يعلي كلمة الحق في صبيحة ليلة الهرير، فكانت خطبته في قومه عشية تلك الليلة إرهاصاً لقلب النصر الوشيك إلى تراجع وانقسام في معسكر الإمام علي (A) وجاء في بعضها: "قد رأيتم معشر المسلمين ما كان في يومكم الماضي وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن ابلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إنا نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما اقول هذه المقالة جزعاً من الحتف - الموت - ولكني رجلٌ مسن أخاف على النساء والذراري غداً - بحسب خريسات - ان يكون معاوية هو الذي املى عليه قول ذلك لأنه إذا فنينا[75]، ولا يبعد كان على اتصال معه بصفين[76].

فالخطبة جاءت متوائمة مع ما كان يخطط له معاوية لوقف القتال وتعززت بفكرة عمرو بن العاص برفع المصاحف والاحتكام لكتاب الله من المعسكرين لوقف القتال، فكان أن هيأت هذه الخطبة لمعاوية الأرضية لبذر بذور الانقسام والتفرق في معسكر علي (A) والملفت أن معاوية اخذ يردد نفس ما قاله الأشعث عندما بلغته خطبته فقال: "أصاب الأشعث ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونساءنا، ولتميلن اهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر ذوي الأحلام والنهى[77].

وهكذا اسهم تبرير الأشعث تحدوه انفعالاته القبلية، يقابله بنفس الاتجاه معاوية وابن العاص، في أن يحصل الانشقاق في جيش علي (A) فانقسمت مكوناته إلى ثلاث فرق[78].

- الفريق الأول الكنديون وعلى رأسهم الأشعث ومعه فئة من القراء – وعلى راسهم مسعد بن فدكي التميمي وزبيد بن حصين الطائي وهؤلاء اصبحوا خوارج بعد صفين – ايدوا ما ذهب إليه ابن الأشعث وطلبوا من الإمام الاحتكام لكتاب الله.
- الفريق الثاني وكان متردد بين مواصلة القتال او وقفه ومنهم ربيعة وهمدان.
- الفريق الثالث وعلى راسهم الإمام علي بن ابي طالب (A).

وكانوا يرون ضرورة مواصلة القتال لكشف زيف ادعاءات معاوية واحقاق الحق، وقد عبر الإمام (A) عن موقفه إزاء التحكيم فقال: "عباد الله إني أحق من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط وحبيب بن مسلمة وابن ابي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وإني اعرف بهم منكم، صحبتهم اطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشرَّ رجال، وإنها كلمة حق يراد

بها باطل، إنهم والله ما رفعوها وهم يعرفونها.... ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، فأعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا"[79].

وما ان انتهى الإمام من كلامه حتى أتاه زهاء عشرين ألفاً من الرجال مقنعين بالحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم يتقدمهم مسعر وزيد بن الحصين وجماعة – ممن صاروا خوارج فيما بعد – فقالوا : "يا علي: أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان [80] والعصبية هنا كانت هي المتحكمة في قرارهم وميولهم وسلوكهم، دون أن يبصروا طريق الحق، فأجابهم الإمام: ويحكم أنا اول" من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه وليس يحل لي أن ادعا إلى كتاب الله فلا أقبله، إنما اقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم عصوا الله فيما امرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم [81]. فلم ينفع الكلام معهم وأجبروه على سحب الأشتر في صبيحة ليلة الهرير وكان على وشك قطف ثمار النصر على معاوية [82]، ثم أخذ الأشعث يهدد الإمام علي بالإسراع بإيقاف القتال والإرسال وراء الأشتر، وإلا ستكون العواقب وخيمة خاصة وإنه سأل معاوية عن الغاية من رفع المصاحف فأجابه الإتفاق [83].

وهدد الأشعث الإمام (A) ايضاً بعدم رمي اليمانية بسهم واحد في المعركة إن استمر في القتال، عندها أحس الإمام (A) بحراجة موقفه طالما أن أكثر من ثلثي جيشه يريدون وقف الحرب وأخذت العصبيات والدسائس والمصالح تتحكم فيهم ، فقال لعدي بن حاتم: إن عامة من معي يعصيني، وإن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه [84] ، ثم خطب في جيشه قائلا: "ألا إني كنت أمس امير المؤمنين وأصبحت اليوم مأمورا، وكنت ناهياً فأصبحت اليوم منهياً، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن احملكم على ما تكرهون [85].

ثم إن الأشتر قال لأمير المؤمنين: احمل الصف على الصف يصرع القوم – في إشارة إلى مواصلة القتال - فتصايح الناس من تميم وطيء وكندة وغيرهم أن علياً أمير المؤمنين قد قبل التحكيم ورضي بحكم القرآن[86]، عندها اذعن الأشتر[87]، وفي غضون ذلك اخذ الناس في المعسكر يشيعون قبول الإمام (A) بالتحكيم والإمام بينهم ساكت مطرق برأسه إلى الأرض ولم يسعه إلا القبول بما أرادوا مكرهاً مضطراً [88].

وتعزز الموقف القبلي أكثر وتجلت ملامحه أكثر اثناء المفاوضات التي سبقت التحكيم فحين طرح عمرو بن العاص ممثلاً عن المعسكر الشامي في التحكيم، إنبرى الأشعث ومعه القراء - ممن صاروا خوارج فيما بعد – واختاروا ابو موسى الأشعري ، وقد طرحوا اسمه على إنه شخص محايد ولا ينتمي لفئة بعينها [89] ، فرفض الإمام علي (A) اختيارهم قائلاً: "ليس لي برضا وقد فارقني وخذل الناس عني وهذا ابن عباس اوليه ذلك"[90] فرفضوا ، فعرض عليهم الإمام ، مالكاً الأشتر، فقال الأشعث: "وهل سعر علينا الأرض إلا الأشتر وهل نحن إلا في حكم الأشتر، قال علي: وما حكمه قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضنا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد [91] ، والرد هنا يشي بالكثير:

1. الشروع بمصادرة حق علي (A) في اختيار ممثله في المفاوضات.
٢. جرأة وعدم احترام من الأشعث للإمام وكشف صريح عن حقيقة مقاصده ونواياه.
3. ارغام الإمام على اختيار الممثل الخطأ للمعسكر العراقي في المفاوضات على الرغم من ثبات عدم حنكته في هكذا مواطن وسوء تدبيره بدلالة ما قاله الإمام علي(A).
٤. عدم الاحتكام إلى صوت العقل وغلبة العصبية على الأشعث ومن معه.
5. فشل الإمام في عقد تفاهمات جانبية معهم لتعنتهم.
٦. اظهر النص أن الأشعث كان يفكر بعقلية معاوية (القبلية) ويتحدث بلسانه وكأنه رجل من المعسكر الشامي لا العراقي، ومن اتباع معاوية لا علي (A).
7. اتهام الأشتر بأنه هو صاحب التدبير وليس للإمام من الأمر شيء. وعندما عاد علي ليعرض عليهم ابن عباس ثانية معللاً عليكم بعبد الله بن عباس فارموه بعمرو، فإن عمراً لا يعقد عقده إلا حلها عبد الله ولا يحل عقده إلا عقدها ولا يبرم أمراً إلا نقضه...[92].

فرد ابن الأشعث في تصاعد لوتيرة العصبية عنده والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله رجلاً من اليمن إذ جعلوا رجلاً من "مضر [93]، وعندما بين الإمام (A) للأشعث خشيته من

تعرض الأشعري للخديعة، كان رده ابعد ما يكون عن العقلانية إلى اللا عقل بل الانجرار وراء التعصب المفضي إلى الضياع، إذ قال: "والله لأن يحكما ببعض ما نكره واحدهما من اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب من حكمهما وهما مضريان"[94]، فقال علي (A). وقد يأس من التفاهم مع ابن الأشعث ومن ورائه من اتباعه – "وقد ابيتم إلا ابا موسى فاصنعوا ما اردتم ، اللهم إني أبرأ إليك من صنيعهم م [95]، وهكذا انقلبت كنده وتميم وطيء من حلفاء الأمس إلى اعداء اليوم، بتأثير كوامن العصبية.

بعد قبول الإمام علي (A) بأبي موسى الأشعري ممثلاً عنه مضطراً، تعرض الإمام (A) لمحنة ثانية عند كتابة وثيقة التحكيم، فعمرو بن العاص رفض أن تسبق لفظة (أمير المؤمنين) اسم الإمام (A) - طبعاً بإشارة من معاوية - قائلاً: "بئس الرجل أنا إذا أقررت بأنه أمير المؤمنين ثم أقاتله"[96]، فاحتجت تميم على ذلك وقال الأحنف – شيخها – لعلي (A) "لا تمح إمارة المؤمنين فإننا نتخوف أن محوتها لا ترجع إليك أبداً [97]، إلا أن القبائل اليمانية وعلى راسها الأشعث طالبت بمحوها إذ قال الأشعث - امح هذا الاسم هذا الاسم برحه الله [98]، فامتحن الإمام بهذا الأمر كما امتحن رسول الله بصلح الحديبية عندما الح ممثل قريش سهيل بن عمرو على محو لفظة رسول الله وابقى في وثيقة الصلح اسم رسول الله مجرداً – فقط اسمه واسم ابيه - ووافق الإمام ايضاً على محو امرة المؤمنين مكرهاً [99].

وتكللت مخاوف علي (A) عندما أوقع ابن العاص بالأشعري ، وتم تثبيت معاوية وخلع الإمام علي، وهو الخليفة المنتخب باجماع الأقطار الإسلامية ماعدا الشام وعلى راسها معاوية، فكان خلع الأشعري للإمام (A) بدافع من اهوائه الشخصية وحمقه وسوء فهمه لمجريات الأمور، بينما ثبت ابن العاص، معاوية، استناداً لتفاهماته مع سيده معاوية، ودهائه، وفهمه لمجريات الأمور ، وانطلاقاً من انتصاره للمبدأ القبلي[100].

فكان كل ما تقدم بتأثير العامل القبلي فاليمانية وعلى راسهم الأشعث هم من دقوا اسفين باتجاه ايقاف الحرب - وكان النصر وشيكاً لعلي (A) - والدفع باتجاه اختيار للأشعري ممثلاً لعلي في التحكيم – رغم عدم جدارته لخوض هكذا مفاوضات فتجريده (A) من إمارة المؤمنين من خلال محو هذا اللقب عنه في وثيقة التحكيم، لتكون النهاية بخلعه خلال التحكيم على يد الأشعري الذي فرضوه على الإمام (A) قسراً، وهكذا نجد أن معظم النتائج السلبية لموقعة صفين، كان قد تصدى لها الأشعث بن قيس منقاداً لنوازعه القبلية لا لإمامه (A).

الخاتمة:

بعد الانتهاء من كتابة البحث توصلت إلى تثبيت ما يلي:

1. كشفت الحرب أن تأثير العصبية القبلية في ثلثي معسكر الإمام علي كان أكثر من تأثير الإسلام عليه وأن الولاء للعشيرة وزعيمها كان أكبر من الولاء للخليفة الحاكم.
2. أظهرت أن رواسب العصبية القبلية في جيش علي كانت مترسخة فيهم ولا مناص إلى كتمانها إذ تجلت عند التهيؤ للحرب، وعند تعيين القادة وتسليمهم الرايات، بل وحتى عند حرب المناجزة.
3. كشفت عن ممارسات بدرت من الجيش ذاته عند المواجهات - ابتعدت عن الجهاد – احد أركان الإسلام - وكانت أقرب إلى الجاهلية، كالتنكر لأوامر القائد العام للجيش وعدم طاعته، والتنادي بالأحساب والأنساب في الحرب، والتفاخر بالقبلية، وشحذ الهمم دفعاً للعار.
4. كشفت الحرب عن مخطط واضح المعالم من الأشعث بن قيس ومعاوية لأبعاد الإمام عن المشهد السياسي وفق رؤية وتطبيق طغى عليهما الطابع القبلي المشحون بالحقد والثأر والتطلع للجاه والسلطة بلحاظ ما قام به الأشعث من دور لا ينكر من الدعوة لوقف الحرب، واجبار الإمام علي قبول التحكيم، فاجباره على القبول بابي موسى الأشعري ممثلاً عن العراقيين في المفاوضات، ثم شطب أمرة المؤمنين من اسمه (A) – بإيحاء من معاوية – ثم خلعه نهائياً من حكم المسلمين وتثبيت معاوية، ودون شك أن كل هذه الخطوات بالتتابع قبل بها الإمام (A) مكرها خشية وقوع الفتنة وتشتت أمر المسلين، إلا أنها، مع كل تحذيراته (A) للقائمين على اشعالها والتخطيط لها انطلاقاً من نوازع انفعالية ضيقة – وقعت.

الهوامش:

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج ١٠، ص ٣٦٨ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص٣٨١.
(2) ميشيل، معجم علم الاجتماع ، ص ٢٣٤ ؛ كاشف الغطاء، دور العصبية القبلية، ص ١٣.
(3) كاشف الغطاء، دور العصبية القبلية، ص١٣.
(4) جمعية علماء البقاع، العصبية والتعصب، ص١٩٨ – ١٩٩.
(5) تنظر : سورة الفتح، آية ٢٦.
(6) الكليني، الكافي، ج ٢، ص٣٠٧.
(7) المصدر نفسه، ص٣٠٨
(8) الترمذي، سنن الترمذي، حديث ٥١٢١.
(9) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٠٩؛ نصر الله ، مظاهر التعصب في الجاهلية.
(10) ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ص٢٢ (خطبة رقم ١).
(11) المصدر نفسه، ص ٣٦٠ (خطبة رقم ١٩٢ – القاصعة).
(12) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج١، ص٢١٠.
(13) سورة البقرة آية ٢٥٦.
(14) سورة فصلت، آية ٣٤-٣٥.
(15) سورة الاعراف، آية ١٩٩.
(16) سورة آل عمران، آية ٦٤.
(17) الكيلاني، شريعة العشائر، ص ٤٥.
(18) صبحي، في فلسفة التاريخ، ص ٣٢.
(19) ننظر: المقدمة، ص٩١.
(20) المصدر نفسه، ص١١٤؛ صبحي، في فلسفة التاريخ، ص٢١٦-٢١٧.
(21) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص ٦٥.
(22) ابن الثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٧٢؛ بيضون، ملامح التيارات السياسية، ص١٢١؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص ٤٠.
(23) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ج ١، ص ٢٦٩؛ ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية، ص٣٣٣.
(24) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ج ١، ص ٢٦٩؛ ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية، ص٣٣٣.
(25) الاسكافي، المعيار والموازنة، ص٣٢٧؛ ابن عقدة الكوفي، ص٩١؛ المسعودين مروج الذهب، ج٢، ص٣٥٣؛ عدوه، أسس بناء الدولة الإسلامية، ص٢.
(26) ابو يوسف، الخراج، ص ٤٤٤٢ العلي، العطاء في الحجاز، ص ٤١-٤٩ ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية، ص 239 – 243.
(27) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٥ ؛ الحسناوي، المعارضة، ص ١٤٥.
(28) راجع العوامل التي دفعت السيدة عائشة لمعارضة الإمام علي (م) في : الحسناوي، المعارضة، ص ٢١٣-٢١٨.
(29) الضبي الأسدي، الفتنة الأولى ووقعة الجمل، ص ١٨٣ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج 5، ص ٥٣٤-٥٣٥؛ البيضون، ملامح التيارات السياسية، ص١٢٣.
(30) ابن قتيبة الإمامة والسياسة، ص١٤٣.
(31) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص٦٦.
(32) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(33) صفين : موضع قرب الرقة على شاطئ الفرات، ينظر ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص ١٩٥.
(34) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٤٢٥.
(35) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص٨٠؛ ابن أعثم، الفتوح، ٢، ص٥٠٢-٥٠٣.
(36) المقري، وقعة صفين، ص ٩٤؛ خريسات العصبية القبلية في صدر الإسلام، ص٣٣٣.
(37) المنقري، وقعة صفين، ص٩٩.
(38) المصدر نفسه، ص٩٦.
(39) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٦-٦٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص ٣١٧.
(40) المنقري، وقعة صفين، ص٣٢.
(41) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص١٠٨.
(42) الطبري، تاريخ الطبري، ج5، ص ٩؛ خريسات العصبية القبلية في صدر الإسلام، ص ٣٣٥.
(43) ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٠٥.

(44) المنقري، وقعة صفين، ص١٣٧.
(45) المصدر نفسه، ص١٣٨.
(46) المصدر نفسه، ص١٣٩.
(47) المنقري، وقعة صفين، ص١٣٩؛ دسوقي، القبائل في بلاد الشام، ص ٢٣١.
(48) المصدر نفسه، ص١٣٩.
(49) المصدر نفسه ؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ٦٨.
(50) المنقري، وقعة صفين، ص ١٣٩-١٤٠.
(51) المصدر نفسه، ص ١٤٠؛ دسوقي، القبائل العربية في بلاد الشام، ص ٢٣٢.
(52) دسوقي، العصبية القبلية في صدر الإسلام، ص337.
(53) المنقري، وقعة صفين، ص ٢.
(54) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(55) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤ ، ص ٥٦٩-٥٧٢ ؛ دسوقي، القبائل العربية، ص٢٣٤.
(56) المنقري، وقعة صفين، ص١٩١.
(57) المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢١٢ والطغام يعني الأوغاد من الناس، ينظر : المصدر والصفحة نفسها، هامش ١.
(58) خريسات، العصبية القبلية، ص٣٣٤.
(59) المنقري، وقعة صفين، ص٢٩٢؛ دسوقي، القبائل العربية، ص ٢٥٣.
(60) ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٥٣؛ خريسات العصبية القبلية، ص ٣٣٩.
(61) المنقري، وقعة صفين، ص٢٧٦-٢٧٧.
(62) المصدر نفسه، ص ٢٦٢ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج5، ص ٢٧.
(63) المنقري، وقعة صفين، ص٢٧٩؛ دسوقي، القبائل العربية، ص ٢٥١.
(64) المنقري، وقعة صفين، ص ٢٦٥.
(65) المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ دسوقي، القبائل العربية، ص ٢٥٢.
(66)المنقري، وقعة صفين، ص ٢٩٢ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥ ، ص ١٣٥ باختلاف بسيط).
(67) المنقري، وقعة صفين، ص ٢٥١-٢٥٢.
(68) المصدر نفسه، ص ٢٦٠ - ٢٦١؛ خريسات العصبية القبلية، ص ٣٤٣.
(69) المنقري، وقعة صفين، ص٣٠٩.
(70) اعطاهم الإمام (A) يوم الأربعاء بقوله أعطيتم ما طلبتم يوم الأربعاء ، وأمر ربيعة أن تكف عن القتال"، ينظر : المصدر نفسه، ص٣٠٩-٣١٠.
(71) كان عدد من سقط من القتلى من المعسكر الشامي خمسة واربعين ومن المعسكر العراقي خمسة وعشرين الفاً. ينظر : المنقري، وقعة صفين، ص ٥٥٨؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص٣٢٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٧، ص١٩٢.
(72) المنقري، وقعة صفين، ص ٣٠٢.
(73) دسوقي، القبائل العربية، ص٢٧١.
(74) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٧٥ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج 5، ص ٤٦.
(75) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٨٠-٤٨١.
(76) خريسات العصبية القبلية، ص ٣٤٦.
(77) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٨١.
(78) خريسات العصبية القبلية، ص ٣٤٥-٣٤٦.
(79) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٨٩؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج 5، ص ٤٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧،ص ٢٢٣.
(80) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٩٠؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٨٥.
(81) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٩٠؛ دسوقي، القبائل العربية، ص٢٧٧.
(82) ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٨٥-١٨٨.
(83) خريسات، العصبية القبلية، ص٣٤٦.
(84) المنقري، وقعة صفين، ص ٣٧٤.
(85) المصدر نفسه، ص ٣٨٤.
(86) ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٨٧.
(87) المصدر نفسه، ص١٨٨.

(88) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٩٢.
(89) خريسات، العصبية القبلية، ص ٢٤٧.
(90) ابن اعثم، الفتوح، ج 4، ص ١٩٧-١٩٨.
(91) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٤٩-٥٠٠.
(92) المصدر نفسه، ص ٥٠٠ ؛ ابن اعثم، الفتوح، ج 4، ص ١٩٨.
(93) ابن اعثم، الفتوح، ج 4، ص ١٩٨.
(94) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(95) المنقري، وقعة صفين، ص ٥٠٠.
(96) المصدر نفسه، ص ٥٠٨.
(97) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(98) المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج5 ص ٥٢.
(99) المنقري، وقعة صفين، ص ٥٠٩ ؛ ابن قتيبة، الاخبار الطوال، ص 151 - 152؛ ابن اعثم، الفتوح، ج4، ص٢٠١.
(100) المنقري، وقعة صفين، ص ٥٤٥ - ٥٤٦ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج 5، ص ٧١؛ دسوقي، القبائل العربية، ص ٢٨٥.

المصادر والمراجع:

اولا: المصادر:

– القرآن الكريم.
- ابن الأثير، ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ).
1. الكامل في التاريخ، تحقيق : خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطبع والنشر ،ط٣، (بيروت – ٢٠٠٧م). الاسكافي، ابو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٢٠هـ).
٢. المعيار والموازنة في فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (A)، تحقيق: محمد باقر المحمودي (د.م ٤٥٤هـ).
– ابن اعثم، ابي محمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ).
3. الفتوح، تحقيق وتعليق علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت – ١٩٩١م).
- الآمدي، ناصح الدين ابي الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (ت ٥٥٠ هـ).
4. غرر الحكم ودرر الكلم، ترتيب عبد الحسن دهيني، (بيروت – د.ت).
- البلاذري، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).
5. جمل من انساب الأشراف، حققه وقدم له: د. سهيل زكارو د. رياض زركلي، (بيروت – ١٩٦٦م). الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).
٦. الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، (بيروت – د.ت).
- الجاحظ، ابى عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ).
7. البيان والتبيين، حققه وشرحه : حسن السندوبي، المطبعة التجارية الكبرى، (القاهرة -١٩٢٦م).
- ابن ابي الحديد، عز الدين ابو حامد عبد الحميد هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ).
8. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة – ١٩٥٩م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغرب (ت ٨٠٨ هـ).
٩. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حجر ،عاصي، منشورات دار ومكتبة ،الهلال، (بيروت – ١٩٨٨م).
- الزبيدي، محب الدين ابي الفيض محمد بن مرتضى الحسيني الواسطي (ت ١٢٠٥هـ).
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، (بنغازي – ليبيا).
- الضي الأسدي، سيف بن عمر.
١١. الفتنة الأولى ووقعة الجمل، جمع احمد راتب عرموش، دار النفائس، (بيروت – ١٩٧٢م). ابن ابي طالب الإمام علي (علم) (ت ٤٠ هـ).
١٢. نهج البلاغة جمع اخباره الشريف ابو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي، حققه وضبط نصه وابتكر فهارسه: د. صبحي الصالح ، مطبعة ،وفا، ط٢، (قم – ١٤٢٧هـ).
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
١٣. تاريخ الطبري المسمى بـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، (القاهرة – ١٩٦٣م).
- ابن عبد ربه، احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ).
١٤. العقد الفريد، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبود، دار الأرقم للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٩٩م).
- ابن عقده الكوفي، ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد (ت ٣٣٢هـ).

١٥. فضائل أمير المؤمنين جمعة ورتبه وقدم له عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، (قم – ٤٢١هـ).
- ابن قتيبة، ابي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ).
١٦. الإمامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، منشورات الشريف الرضي، (طهران – د.ت).
- ابن كثير، عماد الدين ابي الفدا اسماعيل القريشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).
١٧. البداية والنهاية في التاريخ ، خرج احاديثه احمد شعبان ومحمد عبادي عبد الحليم، (القاهرة – ٢٠٠٣م).
- الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ).
١٨. الكافي، صححه وعلق عليه : علي اكبر غفاري، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، ط٢، (طهران – ١٩٦٨م).
- المسعودي، ابو الحسن بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ).
١٩. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط٤، (د.م – ٢٠٠٧م).
- ابن منظور، جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم، دار صادر للطبع والنشر، (بيروت – ٢٠٠٣م).
٢٠ . لسان العرب، دار صادر للطبع والنشر ، (بيروت – ٢٠٠٣م). ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ).
٢١. معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، (بيروت – د.ت).
- اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٦٢هـ).
٢٢ . تاريخ اليعقوبي (النجف – ١٩٣٩م).
- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢٠م).
٢٣. الخراج، دار المعرفة، (بيروت – ١٩٧٩م).

ثانياً: المراجع:

- بيضون، ابراهيم (الدكتور).
1. ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٧٩م).
- جمعية علماء البقاع.
٢. العصبية والتعصب دار المحجة البيضاء ، (بيروت – ٢٠٠٤م).
- خريسات، محمد عبد القادر (الاستاذ الدكتور).
3. العصبية القبلية في صدر الإسلام، (عمان – ٢٠١١م).
- دسوقي، محمد عزب (الدكتور).
4. القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، (القاهرة – ١٩٩٢م).
- الدوري، عبد العزيز (الاستاذ الدكتور).
5. مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت – ٢٠٠٧م).
- صبحي، احمد محمود (الدكتور).
6. في فلسفة التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط3، (بيروت – ١٩٩٤م).
- عدوه، علي سعد تومان.
7. اسس بناء الدولة الإسلامية في فكر الإمام علي (A) نشر العتبة العلوية المقدسة، (النجف الأشرف –٢٠١١م) .
- كاشف الغطاء، آمال.
8. دور العصبية القبلية وآثارها على المجتمع العربي، دار الكتاب العربي، (بغداد – ٢٠٠٧م).
- الكيلاني، فاروق.
٩. شريعة العشائر ، دار العلم للملايين، (بيروت – ١٩٨٢م).
- ميشيل دنكن.
١٠. معجم علم الاجتماع، ترجمة: احسان محمد الحسن، (بيروت – د.ت).
- ياسين، نجمان
١١. تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، دار الشؤون الثقافية، (بغداد – ١٩٩١م).

ثالثاً: الرسائل والأطاريح: الحسناوي، ختام راهي مزهر.

١. المعارضة في الدولة العربية الإسلامية (١١هـ / ٦٣٢م - ٤١هـ / ٦٦١م)، (اطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٧). العيساوي، علاء كامل صالح.
٢. النظم المالية والإدارية في عهد الإمام علي (علم) (٣٥-٤٠هـ / ٦٥٦ - ٦٦٠م)، (اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٥م).

رابعاً: الدوريات:

- العلي، صالح احمد (الدكتور).
1. العطاء في الحجاز (تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى)، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد ٢٠، بغداد – ١٩٧٠م